Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والماء: أنت أبي، والأمهات هـنّ البنـات، والأخـوات: النحـل والطـير والقبّرات. وليس عنوان هذه القصيدة غير إشارة إلى تبديل دور بدور وحياة بحياة وقميص بقميص وثوب بثوب، فالعودة موت وبعث وتناسخ وتقمص. وهو ما تعلنه بجـلاء قصيدة (تحول) كما رأينا، كمـا ستعلنه قصيدة (بوابة الهنـد) مـن ديـوان (كتـاب المائدة). ففي طريق الهند الذي يشير إليه الشيخ والجد والراعـي، يطلـع النسـب الجديد للراوي، فالغمامة أخته، والهواء أبو الغمامة والراوي، والنار أمهمـا. وقـد سبق أن رأينا هذا النسب في اتحاد العناصر في (أشجار لنوم أميرة النهـر)، أمـا في (بوابة الهند) فيمضي الشعر إلى تجسيد الله المتعالي في الطبيعـة (الأرض – خرطوم فيل– قرن بقرة)، والآلهة لا تفتأ في تبديـل قميـص الإنسـان كلمـا نضـج القميص، ففي الهند قمصان بعدد الموت والـولادة. وحسبنا أخيراً أن نشـير إلـى قصيدة (الغـراب) المهداة إلـى ادجـار الآن بـو، ففـي محـاورة الـراوي والغـراب يتوحد الكائنان، فالكتاب واحد، سوى أن الراوي (الشاعر) يرتل الفواتح والغـراب يرتل الخاتمات.

الإله: أنّى لهذه الطقوسية أن تكون في غياب وحدة الذات بالإله، وليس كمـا رأينا في الهند، بل كما في التراث العربي الإسلامي، فالصوفية حاضرة، ومحمـد عمران يلهج خلف أعلامها وشهدائها في قصيدته (رباعيات المنحدر):

يرضيك أني صرت مثلك لا نهائياً؟

يرضيك أنك ساكن فيّا؟

أني اتحدت بالروح العذراء للأشياء؟

وفي (دوار البحر) يكلمه (الأبدي) ويكون الفيض. وفي (شـجرة النـار) مـن (أشجار الصباح) في (كتاب المائدة) يكتشف الشاعر– الراوي في الدهشة:

أنا النار

آنست نفسي على جبلي

وأنا المتكلم فيها

أكلم نفسي

بيد أن هذا الجذر الصوفي يبدو واهياً في التجربة الشعرية الروحيـة لمحمـد عمران، إذا لا يكاد يتلامح سوى في المواطـن المعدودة المحدودة السابقة، فيمـا تسري عناصر صوفية جمّة، في تلك التجربة، كما يتبيّن في لغة هذه التجربة.